الفصل الثاني

أهداف الدولة في الإسلام

الدولة في الشريعة الإسلامية لها خصوصية تميزها عن الدولة غير الإسلامية ، فالدولة الإسلامية قد تحددت أهدافها قبل وجودها ، على عكس الدولة غير الإسلامية فقد وجدت أولاً تلك الدولة ككيان ثم شُرِع في البحث عن أهداف ذلك الكيان ، وعندئذ تعددت وتباينت وجهات النظر البشرية وهي بصدد البحث عن تلك الأهداف .

كذلك فالدولة الإسلامية وسيلتها وأداتها المحددة لتحقيق أهدافها ، وهي المنهاج الإسلامي بمعالمه المعينة القاطعة ، وبدقائقه ومفرداته التي تُركت لاجتهاد أصحاب الرأي والمعرفة من المسلمين ، أما الدولة غير الإسلامية فكانت دائماً حقلاً للتجارب فهناك تجارب أخذت بالنظام السياسي الفردي ، وهناك تجارب أخذت بالنظام السياسي الشمولي ، وهناك تجارب أخذت من هذا وذاك ، وظل الأمر على هذا المنوال ، ومن يراقب تطورات العالم بعين الباحث يرى العجب ! .

ولعل أول ما يلفت الانتباه ويثير الذهن فيما يتعلق بالسياسة والحكم في الإسلامي هو أهداف الدولة ، فهي بادرة العملية السياسية ، وأول ما يتلاقى مع المنهاج الإسلامي وبها يبدأ في ممارسة مهام وظيفته ، كما أن أهداف الدولة هي أول نقطة التقاء وعناق بين المنهاج الإسلامي من ناحية وبين المجتمع من ناحية أخرى ، أما عن ثاني نقاط الالتقاء فهي وسائل وأدوات المنهاج لتحقيق أهداف الدولة .

وهناك أهداف رئيسية للدولة الإسلامية وبداخل هذه الأهداف الرئيسية وفي ثناياها توجد أهداف أخرى أقل عمومية وشمول وهي الأهداف الفرعية الثانوية .

وتختلف طبيعة أهداف الدولة من الدولة الإسلامية إلى الدولة غير الإسلامية ، فالدولة الإسلامية يغلب على أهدافها الطابع الديني ، على عكس الدولة غير الإسلامية التي يغلب على أهدافها الطابع اللاديني .

كذلك تلعب العقيدة والدعوة العقيدية دوراً مهماً في أهداف الدولة الإسلامية ، فإقامة شرع الله عبارة عن دعوة عقيدية موجهه إلى أفراد المجتمع ، أما الدعوة إلى الله عبر الوظيفة الاتصالية للدولة هي عبارة عن دعوة عقيدية موجهه إلى أفراد العالم الخارجي ، وقد يلاحظ أن بعض الدول غير الإسلامية يوجد لديها أهداف خاصة بالدعوة العقيدية الخارجية ، وهذه الدول صاحبة أيديولوجيات بشرية موضوعة تروّج لها وتدعو إليها ، وكان ذلك هو نمط الاتحاد السوفياتي السابق والولايات المتحدة حالياً ، فالدولة الأولى كانت تروّج للأيديولوجية الماركسية والنظام الشمولي والدولة الثانية كانت ولا تزال تروّج للأيديولوجية الرأسمالية والنظام الفردي .

ويأتي هذا الفصل في ثلاثة مباحث على النحو التالي :

المبحث الأول : إقامة شرع الله .

المبحث الثاني : تحقيق مصالح المجتمع .

المبحث الثالث : الدعوة إلى الله .

المبحث الأول

إقامة شرع الله

أهم أهداف الدولة في الإسلام هو إقامة شرع الله ، كذلك فإقامة شرع الله هو أساس وجود الدولة وعلته الأساسية ، ويتمثل هذا الهدف في أمرين :

أولاً : الأمر الأول : إقامة الشعائر :

لقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بعبادته وإقامة شعائره ، التي حددها وعيَّنها لهم ومن ثم كان ذلك هو أول أهداف الجماعة السياسية أو الدولة ، فقال تعالى " ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنآ أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينآ إنك أنت التواب الرحيم "[1] ، والمناسك هي أمور العبادة .

وقال تعالى " قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين "[2] ، والنسك هنا هو جميع العبادة .

وقال تعالى " لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه فلا ينازعنك في الأمر وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم "[3] ، والمنسك هو العبادة .

---

[1]. سورة البقرة : ١٢٨ .
[2]. سورة الأنعام : ١٦٢ .
[3]. سورة الحج : ٦٧ .

وقال تعالى " ومآ أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لآ إله إلآ أنا فاعبدون " .[1]

وقال تعالى " إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون "[2]، فالإسلام هو دين كل الأمم ، وجميع البشر مطالبون بعبادة الله الواحد الأحد .

وإقامة شعائر الإسلام قد بينها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بياناً واضحاً جلياً لا غبار عليه ولا غموض فيه ، ودولة الإسلام مطالبة ومأمورة بأن توضح للمسلمين كيف يقيمون شعائر دينهم ، وكيف يعبدون الله من خلال إعداد الدعاة والوعاظ والمرشدين ، وتهيئة الوسائل التي تربط بينهم وبين أبناء المجتمع ، ومن هذه الوسائل المطبوعات والكتب والإذاعة والتليفزيون وكل ما من شأنه أن يوضح للمسلم شعائر دينه وكيفية إقامتها .

كذلك تهتم الدولة بدور العبادة وتزويدها بمصادر الإشعاع الفكري والثقافي من كتب ومكتبات ووعاظ ومرشدين ودعاة ، ومعلوم أن للمسجد رسالة سامية . ينبغي أن يؤديها في الدولة الإسلامية ، كما ينبغي على من يحمل لواء الدعوة أن يبذل جهده في تنقية العبادات والشعائر مما لحق بها من البدع ، ومما دخل عليها مما ليس فيها والعودة بها إلى نبعها الصافي ومصدرها الأصيل .

ثانياً : الأمر الثاني : تطبيق الشرائع :

إقامة الشعائر الإسلامية لابد أن يصاحبها تطبيق للشرائع حتى يكتمل شرع الله ويعم المجتمع المسلم ، وهذا هو أول أهداف الدولة في الإسلام ، وإذا كنا قد أوضحنا الشّق الاول

---

[1]. سورة الأنبياء : ٢٥ .
[2]. سورة الأنبياء : ٩٢ .

من إقامة شرع الله ، فما هي إذن مفردات الشّق الثاني من هذا الهدف السامي تتمثل مفردات الشّق الثاني من أهم أهداف الدولة الإسلامية وهو تطبيق وتفعيل الشرائع في الآتي :

- الحكم بين الناس بما أنزل الله :

المبدأ العام والركيزة الأساسية هو الحكم بما أنزل الله فيما يتعلق بالأحكام العامة والأصول والقواعد التي حددتها الشريعة الإسلامية ، حيث أن هذه الأصول والأحكام العامة والقواعد لا تتطور ولا تتغير فهي أساس الدين وحبله المتين .

قال تعالى " إنآ أنزلنآ إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بمآ أراك الله ولا تكن للخآئنين خصيماً "[1] ، فكتاب الله وهو القرآن الكريم مشتمل على الصحيح الثابت من الأحكام .

وقال تعالى " إنما كان قول المؤمنين إذا دُعُوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون "[2]، في هذه الآية أخبر الله تعالى عن صفة المؤمنين في المجتمع المسلم المستجيبين لله ولرسوله الذين لا يبغون ديناً ولا حكماً سوى كتاب الله وسنة رسوله . فهم يقولون لكتاب الله وحكمه سمعاً وطاعة ، ومن ثم وصفهم الله تعالى بالفلاح وهو نيل المطلوب والسلامة من المرهوب .

---

[1]. سورة النساء : ١٠٥ .
[2]. سورة النور : ٥١ .

* الحدود حددتها الشريعة ولا تهاون فيها :

كذلك فالشريعة الإسلامية بأساسيها القرآن والسنة قد حددا الحدود وبيَّنا خطورة وسوء عاقبة من يتعدى حدود الله ، وحدود الله تعني أحكام الله ، وتعني أيضاً الحدود الفاصلة بين الحلال المباح والحرام المحظور ، والحدود تعني كذلك العقوبات التي حددها الله لكل مخالفة أو تجاوز يرتكبه العبد .

قال تعالى " تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين " .[1]

وقال تعالى " الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألاَّ يعلموا حدود مآ أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم " .[2]

وقال تعالى " التآئبون العابدون الحامدون السآئحون الراكعون الساجدون الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين " .[3]

* **عواقب العدول عن إقامة شرع الله :**

إقامة شرع الله من أجّل وأسمى أهداف الدولة في الإسلام ، وهذا الهدف هو هدف واجب التطبيق ، وقد أعد الله لمن يتقاعس عن إحراز هذا الهدف وتحقيقه خزياً في الحياة الدنيا وهو في الآخرة من الخاسرين .

---

[1]. سورة النساء : ١٣-١٤ .
[2]. سورة التوبة : ٩٧ .
[3]. سورة التوبة : ١١٢ .

قال تعالى " إنآ أنزلنا التوارة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استُحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهدآء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بئاياتي ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بمآ أنزل الله فأولئك هم الكافرون * وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بمآ أنزل الله فأولئك هم الظالمون " .[1]

وقال تعالى " وليحكم أهل الإنجيل بمآ أنزل الله فيه ومن لم يحكم بمآ أنزل الله فأولئك هم الفاسقون " .[2]

[1]. سورة المائدة : ٤٤-٤٥ .
[2]. سورة المائدة : ٤٧ .

المبحث الثاني

تحقيق مصالح المجتمع

يتمثل الهدف الثاني للدولة في الإسلام في تحقيق مصالح أفراد المجتمع ، وهذا الهدف يتفرّع إلى أهداف فرعية على النحو التالي :

أولاً : استخراج الموارد وإنماؤها :

تستهدف الدولة في الإسلام استخراج الموارد المادية والبشرية وإنماؤها ، والموارد المادية هي الدخل المادي ، والموارد البشرية بمثابة الكادر البشري الذي يتولى تشغيل وإدارة الجهاز الإداري وخطط الإنماء داخل الدولة .

وتتحصل الدولة الإسلامية على مواردها أو دخولها من مصادر عدة أهمها : الزكاة بجميع أنواعها ، والعائد من استغلال الموارد الطبيعية الموجودة بإقليم الدولة .

كذلك تستهدف الدولة إنماء مواردها من خلال إنماء قطاعات ونشاطات اقتصادها من صناعة وزراعة وتجارة .

ثانياً : توزيع الموارد والمنافع :

كذلك من أهداف الدولة الإسلامية توزيع الموارد والمنافع على الأفراد والجماعات وتشمل تلك المنافع السلع والخدمات والفرص والمناصب وكل ما له قيمة مادية ومعنوية ، وتنفق

الدولة الإسلامية من مواردها ودخلها على توفير الاحتياجات الأساسية للأفراد وتدعيم نشر التعليم والثقافة والصحة وغيرها من نشاطات الحياة الأخرى .

تهتم الدولة في الإسلام بتوزيع عمليات الإنماء والإحداث على مناطقها الجغرافية بشكل متوازن حتى لا يتم الإسراع بإنماء بعض المناطق على حساب المناطق الأخرى .

يضاف إلى ما تقدم إنفاق الدولة على شئون الدفاع والأمن الذي يعتبر هدفاً حيوياً من أهدافها ، حيث ترمي الدولة الإسلامية بشكل دائم إلى أن تبدو قوية مرهوبة الجانب حافظة لمكانتها الدولية .

يدخل كذلك في توزيع الموارد عمليات الإنفاق على الأجهزة الإدارية الحكومية والهيئات والمؤسسات العامة التي توكل إليها مسئولية تسيير نشاط الدولة .

ثالثاً : تنظيم أمور الدولة وتسيير شئونها :

يعتبر هدف تنظيم أمور الدولة وتسيير شئونها من أهدافها الفرعية التي تندرج تحت هدفها الرئيسي وهو تحقيق مصالح المجتمع ، ويجسد هذا الهدف الفرعي مدى قدرة الدولة على حفظ الأمن والنظام من خلال كافة مؤسساتها وجهازها الإداري وقواتها المسلحة .

ويرمي هذا الهدف الفرعي إلى تنظيم سلوك الأفراد والجماعات داخل الدولة الإسلامية ، وكذا يرتبط بأسلوب الدولة في فرض العقوبات ومنح المكافآت والحوافز .

المبحث الثالث

الدعوة إلى الله

الدعوة إلى الله هي خطاب موجَّه إلى الفرد من خلال منطقه الذاتي ، وهذا الخطاب يحمل الحقيقة الإيمانية متَّصفاً بالالتزام ومتسماً بالصدقية ، ويهدف إلى إحالة ذلك الفرد إلى مؤمن صحيح وقوي الإيمان .

من خلال هذا المفهوم الإجمالي للدعوة إلى الله ، يمكن أن نقف على عناصر وتفاصيل ذلك المفهوم من خلال الآتي :

أولاً : الدعوة إلى الله هي خلق علاقة روحية بين الداعية والمخاطب :

تتوجه الدعوة إلى الله إلى شخص على استعداد لقبول هذه الدعوة والإيمان بها " والإيمان هو انتماء واستجابة كلية شاملة يفنى فيها الفرد لا فقط كمنطق أو كمفاهيم بل كوجود حركي "[1] ، والدعوة بالمنطق السابق تتحول بعد انطلاقها إلى عاطفة تفسر حالة الولاء التي تتشكل بين مصدر الدعوة والمخاطب بها ، وهذه العاطفة ستكون مسئولة في نهاية المطاف عن نجاح الدعوة في تحقيق غاياتها وإصابة أهدافها .

وقد قال تعالى " ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون "[2] ، أي ولتكن منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الأمة

---

[1]. د. حامد ربيع ، الدعاية الصهيونية (القاهرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٥) ص ٢٦ .
[2]. سورة آل عمران : ١٠٤ .

الإسلامية متصدية لهذا الشأن ، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه ، ومن الجائز أن يكون المقصود من الآية أن تكون الأمة الإسلامية بالكامل من بين الأمم أمة من صفاتها واختصاصها أنها تدعو إلي الخير وتأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر بين أمم الأرض ، فهي إذن أمة سلام ووئام وفضيلة وقيم وأخلاق .

وفي هذه الآية قدم الحق تبارك وتعالى الدعوة إلى الخير قبل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومن شأن ذلك أن يخلق حالة من الألفة والقبول بين الداعي والمخاطب تؤهل لحالة التلاقي والعناق المستهدفة من وراء الدعوة والتي تنتهي بالقبول والإيمان .

وقال تعالى " يا أيها الذين ءامنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون "[1]. فالإسلام إحياء للقلوب وإنعاش للنفوس ، ولعله مما يعظم أثره في النفس ويشتد وقعه على القلب أن يدرك الإنسان أنه يدعى إلى ما يحييه بتزكية نفسه وتطهير قلبه .

ثانياً : الدعوة تفرض تقبل الرسالة الإيمانية في كمالها وكلياتها :

ما من شك في أن " الانتماء العقيدي في الدعوة (الإسلامية) يفسر ويفرض تقبُّل الرسالة في كمالها وكلياتها ، وابتداءً من هذا القبول ينبع الإيمان بالجزئيات ، إن المؤمن بالإسلام لا يمكن أن يناقش لماذا يتجه بالصلاة نحو الكعبة ، إن هذه الجزئية تنبع من إيمانه بالعقيدة ، ومن ثم يرتبط بها روحياً في كلياتها ، الأمر الذي يفرض عليه احترام الجزئيات دون مناقشة "[2].

---

[1]. سورة الأنفال : ٢٤ .
[2]. د. حامد ربيع ، الدعاية ... ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٦ .

وقد قال تعالى " قولوا ءامنا بالله ومآ أنزل إلينا ومآ أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ومآ أوتي موسى وعيسى ومآ أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون "[1]. وفي هذا أمر من الله تعالى للمؤمنين أن يؤمنوا به ويصدقوا بكتبه كلها وبرسله جميعاً ، وهذا يعني تقبل الرسالة الإيمانية بكمالها وكلياتها ، وهي بالتالي تتضمن في ثناياها الجزئيات ، والإيمان بالكليات يعني بالضرورة الإيمان بالجزئيات .

ثالثاً : الدعوة إلى دين الله تقوم على الحقيقة وتدعو إليها :

فالدعوة إلى دين الله الذي هو الإسلام " تقوم على الصراحة وتسعى إلى الحقيقة بالرغم من أنها تفترض علاقة عاطفية ، إلا أنها لا تُشعل تلك العلاقة بل ترى فيها مبرراً لأن تكون صريحة واضحة لا تنطلق إلا من الحقيقة ولأجل الحقيقة "[2].

قال تعالى " لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه فلا ينازعنَّك في الأمر ، وادع إلى ربك انك لعلى هدى مستقيم "[3]، أي إن دعوة الإسلام حق ، وتدعو إلى طريق الهدى والحق طريق واضح مستقيم موصل إلى المقصود .

وقال تعالى " وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً "[4]، أي وأمرك يا محمد ظاهر فيما جئت به من الحق كالشمس في إشراقها وإضاءتها لا يجحدها إلا معاند .

---

[1]. سورة البقرة : ١٣٦ .
[2]. د. حامد ربيع ، الدعاية ... ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٦ .
[3]. سورة الحج : ٦٧ .
[4]. سورة الأحزاب : ٤٦ .

رابعاً : الدعوة إلى الله هدف واجب من أهداف الدولة في الإسلام :

الدعوة إلى دين الله هدف أساسي من أهداف الدولة الإسلامية ، وهذا الهدف هو كذلك مسئولية لا يمكن للدولة في الإسلام أن تتنصل منها .

قال تعالى " قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله ومآ أنا من المشركين "[1]، ويقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم إلى الثقلين : الإنس والجن، آمراً إياه أن يخبر الناس أن هذه سبيله أي طريقته ومسلكه وسنته ، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، يدعو إلى الله على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي.

وقال تعالى " والذين ءاتيناهم الكتاب يفرحون بمآ أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنمآ أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعوا واليه مآب "[2]، وقد أمر الله رسوله بالدعوة إلى الله وأن تستمر هذه الدعوة حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وقال تعالى " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين "[3]، يقول تعالى آمراً رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يدعو الخلق إلى الله بالحكمة أي ما أنزل عليه من الكتاب والسنة والموعظة الحسنة ، ومن احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب . وهذا أمر بلين الجانب .

---

[1]. سورة يوسف : ١٠٨ .
[2]. سورة الرعد : ٣٦ .
[3]. سورة النحل : ١٢٥ .

وقال تعالى " ولا يصدنَّك عن ءايات الله بعد إذ أنزلت إليك ، وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين "[1]، وهذا أمر من الله لرسوله الكريم بالدعوة إلى دين الله ونشره وهذا واجب منوط باتباع رسول الله من بعده ، وبكل دولة اتخذت من الإسلام شِرعةً ومنهاجاً .

وقال تعالى " فلذلك فادع واستقم كمآ أمرت ولا تتبع أهوآءهم وقل ءامنت بمآ أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنآ أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير "[2]، أي فللذي أوحينا إليك من الدين الذي وصينا به جميع المرسلين قبلك ، أصحاب الشرائع الكبار المتبعة كأولي العزم وغيرهم فادع الناس إليه ، واستقم أنت ومن اتبعك على عبادة الله تعالى كما أمركم الله عز وجل ، وداوموا على نشر دين الله والدعوة إليه .

وقال تعالى " وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين ".[3]

---

[1]. سورة القصص : ٨٧ .
[2]. سورة الشورى : ١٥ .
[3]. سورة الحديد : ٨ .